

التربة التكريتية

الباحثة نبيلة القوصي



إخوتي قراء زاوية (معالم وأعيان):

استهوت مدينة دمشق الحبيبة الناس للعيش في خيرها وبركتها منذ أن نصح النبي صلى الله عليه

وسلم صحابته الكرام قائلاً:

((سُتَفْتَحُ عَلَيْكُمُ الشَّامُ، فَإِذَا خَيْرُتُمُ الْمَنَازِلَ فِيهَا، فَعَلَيْكُمْ بِمَدِينَةِ يَمَامَةَ لَهَا دِمَشْقُ)).

وبلغت أحاديثه الشريفة حد التواتر، مما دفع بعض الصحابة إلى حملها بمثابة الأمر، فهاجروا إلى

دمشق وقاموا على نشر الإسلام وإنسانيته الرائعة بالحكمة والموعظة الحسنة، راجين الله عز وجل أن

يكونوا ممن بشر بهم عندما قال: ((إِنَّ الْخَيْرَ عَشْرَةَ أَعْشَارٍ، تَسْعَةٌ بِالشَّامِ وَوَاحِدٌ بِسَائِرِ الْبِلَادِ))

((إِنَّ الشَّامَ خَيْرٌ لِّلَّهِ فِي أَرْضِهِ، إِلَيْهَا يَجْتَمِعُ صَفْوَتُهُ مِنْ عِبَادِهِ))

تتالت العصور ودمشق مازالت تسطر هذا العنوان ..

وها هو سفح قاسيون، الذي يشكل إرثاً حضارياً دمشقياً رائعاً، يدعونا لتتوغل معاً في مساره التاريخي، ونشهد معه حقبة زمنية تميزت بالازدهار العمراني والاقتصادي بعد إرساء معالم الأمن والاستقرار فيها ، وذلك بسبب صد التوسع الصليبي في عهد الدولة الزنكية والأيوبية، ليسرد علينا مالا نعرفه من قصصٍ وسيرٍ من كانوا قبلنا، كي نعيد ترتيب أوراقنا قبل فوات الأوان، فهيا معاً...
إخواني:

يحتضن جبل قاسيون في ترابه الكثير من الأمراء والعلماء الأجلاء والقادة الكبار، ممن ساهم في رسم معالم عنوان تاريخ مدينة دمشق العظيم ..

وعندما تمشي أيها السائح الدمشقي، بين أزقة و حارات قاسيون تلاحظ تربة كثيرة موزعة هنا وهناك، والتراب جمع تربة بناها أناس ليُدفنوا فيها ، ما هي إلا تذكرة وعظة لنا نحن أبناء اليوم:

((قل سيروا في الأرض فانظروا...)).

وأنت مدعو أيها السائح للتعرف على بعض من هذه التراب من خلال زاوية (معالم وأعيان)... هيا معاً...



لنمضي باتجاه جامع (محي الدين بن عربي)، وعلى امتداده في حي عُرف باسم (حي المدارس) ومقابل (بيمارستان القيمرية)، و(المدرسة الأشرفية) نلاحظ تربة تدعى (التربة التكريتية) نسبة إلى وزير مدفون فيها...

هذه التربة نموذج لفن العمارة المملوكي الذي دام عدة قرون (1259/658-1516 /922)، تاريخ بناء التربة يعود إلى 1298/698.. تتألف من مصلى وتربة مقببة، تميزت بزخارفها الجصية الأندلسية الكثيرة الموجودة في ردهة المصلى، وتتألف من بوابة رئيسية وواجهتها المزينة بالمقرنصات المعقودة الرائعة بها نوازل حجرية محفورة بعناية ذات ملامح مملوكية تعلوها قبة حجرية ضخمة في الداخل يوجد ضريح الوزير التكريتي، يدعونا للصلاة والدعاء في المصلى، نقف للدعاء قائلين: ((السلام عليكم أهل الديار، من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين، وإنا إن شاء الله بكم للاحقون)) ...



ولكن من هذا الوزير المنسوب إليه هذه التربة ؟
 يخبرنا الذهبي رحمه الله، في كتاب (العبر) و(شذرات الذهب):

اسمه: الصاحب الكبير الصدر الوزير تقي الدين توبة بن علي بن مهاجر بن شجاع بن توبة الأربعي التكريتي، ولد سنة (620 هـ) يوم عرفة ، وتنقل في الخدم إلى أن صار وزير المنصور قلاوون بدمشق.

توفي: في سنة (698 هـ)، صُلِّي عليه في الجامع، وسوق الخيل، ثم دُفن بترته مقابل المدرسة الأشرافية بالسفح ، حضر جنازته قضاة وأعيان ... رحمه الله .

إخواني بعد زيارتنا السياحية القصيرة هذه ومن فوق أرض دمشق الحبيبة لا بد لنا من وقفة إيمانية فيها كثير من الإجلال والاحترام لأحاديث المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام ، والتي طافت في نسائم نفوسنا و أرواحنا، ولأناس سبقونا بالحياة فوق هذه الأرض المباركة اجتهدوا على أنفسهم وقدموا ورقة أعمالهم ومضوا.... ونحن اليوم نقف نفس المكان ولكن هل حققنا ما يرجوه منا المصطفى صلوات الله عليه؟

أسئلة هامة جدا لا بد من إجابة صادقة مع نفوسنا أمام الله العزيز القهار

اللهم إنا نسألك بجاه نبيك الكريم الذي قال **(عليكم بالشام)** أن تمدنا بغوث ونجدة، يا الله يا الله يا الله مَنَّ علينا واغفر لنا ذنوبنا، في عهدٍ منا بتوبة صادقة بإذن الله ، أكرمنا بفرج قريب يا رب وأدرك الشام وأهل الشام من نار الفتنة التي أشعلها الشيطان ولا زال ينفخ فيها.....
أخطأنا وقصرنا تب علينا يا الله، وارفع عنا هذا البلاء يا الله يا غياث المستغيثين اُنجدنا ولا تكلنا إلى نفوس أمارة بالسوء يا الله يا الله، اللهم آمين .

المصادر:

- شذرات الذهب / للذهبي.
- العبر في خبر من غير / للذهبي.
- البداية والنهاية / لابن كثير.
- القلائد الجوهريّة / لابن طولون.